مجلة العلوم التربوية
كلية التربية – الجامعة الأسمرية الإسلامية
المجلد (5)، العدد (1) (2024)

منهج القرآن الكريم في الترقّي بالشخصية الإنسانية

(وصايا لقمان أنموذجاً)

عبد المولى منصور زيدان

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية الآداب، الجامعة الأسمرية الإسلامية، ليبيا
abdalmola.zidan@gmail.com

المستخلص :

هدف البحث إلى بيان المنهج التربوي للقرآن الكريم في الارتقاء بالشخصية الإنسانية من خلال وصايا لقمان الحكيم باستخدام المنهج الاستقرائي من خلال قراءة وتتبّع النصوص القرآنية، والمنهج الاستنباطي من خلال الشرح والتحليل وقد توصلت إلى نتائج أهمها أن القرآن من أصول التربية وعلم النفس إذ تنوّعت موضوعته في الاهتمام بالنفس البشرية وأنه انتهج منهج التدرج في الترقي بالشخصية وذلك بالبناء الفكري عن طريق الخطاب الذي يتعلق بالعقل ويدعوه للنظر والتأمل والتفكر، والبناء الوجداني القيمي الذي ينتج عنهما تغيير السلوك أو ما يسمى بالبناء السلوكي من خلال وصايا لقمان الحكيم التي جمعت الأصول العقائدية والعبادات والآداب، فجمعت بين الإيمان والفكر وبين السلوك والمعتقد.

الكلمات المفتاحية: منهج القرآن الكريم، الترقّي، النفس الإنسانية، وصايا لقمان.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً وبعد.

فإن الناظر والمتأمل في القرآن الكريم يجده الأصل الأول والمصدر الرئيس للتربية وعلم النفس وذلك من خلال نصوصه التصريحية المباشرة, ونصوصه المعنوية المكنية، فقد خاطب القرآن الكريم العقل في كثير من المواضع؛ لأن العقل مصدر الإدراك، حيث يُصقل بالمعارف والمفاهيم ومنه تبدأ المرحلة الأولى لمبادئ التربية، وخاطب الوجدان كونه المرحلة الثانية للمبادئ المقوّمة للشخصية الإنسانية والتي تأتي بعد مبدأ المعرفة، وهي المرحلة التي يصبح فيها المفهوم قيمة يميل إليها الإنسان، فيحب أو يبغض منه ذاك المفهوم، ثم ينتج عن المرحلتين السابقتين المرحلة الأخيرة وهي مرحلة السلوك الذي ضبطه القرآن بأمرٍ في فعل الشيء أو نهيٍ عن فعله وذلك بتركه.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في السؤال الرئيس التالي:

ما صور اهتمام القرآن الكريم بالشخصية الإنسانية

وتكون السؤال الرئيس من الأسئلة الفرعية الآتية:

1- ما معاني النفس الإنسانية وأحوالها في القرآن الكريم

2- كيف ارتقى القرآن الكريم بالشخصية الإنسانية فكريا؟

3- كيف ارتقى الإسلام بالشخصية الإنسانية وجدانيا؟

4- كيف ارتقى الإسلام بالشخصية الإنسانية سلوكيا؟

أهداف **البحث:**

يسعى البحث إلى تحقيق الهدف الرئيس التالي:

التعرف على صور اهتمام القرآن الكريم بالشخصية الإنسانية

ويتفرع الهدف الرئيس من الأهداف الفرعية الآتية:

1- التعرف على معاني النفس الإنسانية وأحوالها في القرآن الكريم

2- التعرف على كيف ارتقى القرآن الكريم بالشخصية الإنسانية فكريا؟

3- التعرف على كيف ارتقى الإسلام بالشخصية الإنسانية وجدانيا؟

4- التعرف على كيف ارتقى الإسلام بالشخصية الإنسانية سلوكيا؟

أهمية البحث:-

1- إيجاد حلول جدرية للمشاكل النفسية من خلال النهج والسبيل الذي اتبعه القرآن الكريم للتنقل والتّرقي بالنفس من مرحلة لأخرى.

2- ضبط الشخصية الإنسانية فكريا.

3- ضبط الشخصية الإنسانية وجدانيا.

4- ضبط الشخصية الإنسانية سلوكيا.

5- صقل النفس الإنسانية وذلك عن طريق الوصايا وما تخلفها من آثار.

مصطلحات البحث:

1- منهج القرآن الكريم:

المعنى اللغوي: الطريق والسبيل والمنهاج **(منظور، 1414هـ، صفحة 383/2.)**

المعنى الاصطلاحي: طريق واضح يصل به الإنسان إلى حقيقة أو معرفة(الطاهر، 1974م، ص19)

التعريف الاجرائي: كل ما ورد ذكره في القرآن الكريم ويتعلق ببناء الشخصية الإنسانية معرفيا أو وجدانيا أو سلوكيا.

2- الترقّي:

المعنى اللغوي: هو من الرقي الصعود والارتفاع **(منظور، 1414هـ، صفحة 332/14)**

المعنى الاصطلاحي: البدء بالوصف ثم الارتقاء إلى الأعلى(التهاوني، 2014م، صفحة 140/1)

التعريف الاجرائي: يقصد به الانتقال بالشخصية الإنسانية من مكانة أو مرتبة إلى مكانة أو مرتبة أفضل منها.

3-الشخصية الإنسانية:

المعنى اللغوي: صفات تميّز الشخص عن غيره

المعنى الاصطلاحي: ظاهرة نفسية اجتماعية تحلل الخصائص والسمات المعرفية وتوضح سلوك الفرد في المجتمع

التعريف الاجرائي: يقصد به صفات الإنسان وسلوكياته.

4- وصايا لقمان:

المعنى اللغوي: وصل شيء بشيء(فارس، 1399هـ - 1979م، صفحة 166/6)

المعنى الاصطلاحي: التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترنًا بوعظ(الأصفهاني، 1999م، صفحة 316/1)

التعريف الاجرائي: يقصد به ما ذكر في القرآن من حكم للقمان.

حدود البحث:

الحدود الموضوعية: وصايا لقمان في الترقّي بالشخصية الإنسانية **في القرآن الكريم.**

الحدود الزمنية: العام الجامعي 2023/ 2024

منهج البحث:

استخدم الباحث لتحقيق أهدافه المنهج الاستقرائي، من خلال قراءة وتتبّع النصوص القرآنية، والمنهج الاستنباطي من خلال الشرح والتحليل.

الدراسات السابقة:

1 . معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه.

لعبد الرحمن محمد عبد المحسن الأنصاري، وهدفت الدراسة بيان الجوانب التربوية من خلال وصايا لقمان مبيّناً من ذلك معالم أصول التربية الإسلامية باستخدام المنهج الاستقرائي بعد قراءة النصوص القرآنية، والمنهج الاستنباطي من خلال الشرح والتحليل، ومن أهم نتائج الدراسة أن وصايا لقمان في مضمونها

أصول وقواعد تندرج منها التربية الإسلامية كالأصل العقائدي الذي جوهره التوحيد من خلال عدم الشرك بالله، والأصل الثاني الذي هو طوق النجاة الذي يكمن في مراقبة الله عز وجل، والأصل الثالث العبادات وما يترتب عليها من آثار تربوية، والأصل الرابع: الآداب الاجتماعية التي تتمثل في التواضع وعدم التكبر والتعالي على الخلق والخالق فقد جمعت هذه الدراسة بين العقيدة والأخلاق والعبادات، وقد اتفقت دراستي مع هذه الدراسة في الأصل الأول العقائدي والأصل الثالث والرابع ما بين العبادات والآداب الاجتماعية.

2 ـ المضامين التربوية لوصايا لقمان أسس استراتيجية لتعزيز الهوية في مواجهة تحديات العولمة للدكتورة نوف بنت ناصر التميمي وهدفت الدراسة إلى المساهمة في الدعوة لتأصيل الدراسات الإنسانية، والتربوية على وجه الخصوص ومن خلال استنباط الأصول التربوية العامة لمنهج لقمان في وصاياه لابنه تأكيداً على أن منهج القرآن في التربية هو ما يناسب طبيعة الإنسان في هذا العصر واستخدم لتحقيق ذلك المنهج الوصفي التحليلي, ومن أهم نتائج هذه الدراسة أن القرآن الكريم رسم منهجًا واضحًا على لسان لقمان الحكيم ليكون سلوكًا رشيدًا للبشرية كلها، ودستورًا قويمًا لبناء الشخصية المتكاملة للفرد وللجماعة، ولقد رتب الأمور بحسب أهميتها للمربي، فبعد العقيدة التي هي "أساس في تكوين الصلة بالله، وعليها ينبني قبول الأعمال، ومنها تستمد الأخلاق الفاضلة فبدأ بتربية النفس على طاعة الله ثم ثني بدعوة الآخرين، وأن وصايا لقمان تلك شملت كل أركان هذا الدين وقد اتفقت دراستي في أن وصايا لقمان جمعت أصول الدرين وأركانه.

سيتم تناول هذا الموضوع **منهج القرآن الكريم في الترقّي بالشخصية الإنسانية (وصايا لقمان أنموذجاً) من خلال المطالب التالية:**

المطلب الأول –معاني النفس الإنسانية وأحوالها في القرآن الكريم

المطلب الثاني – ارتقاء القرآن الكريم بالشخصية الإنسانية فكريا؟

المطلب الثالث – ارتقاء الإسلام بالشخصية الإنسانية وجدانيا؟

المطلب الرابع– ارتقاء الإسلام بالشخصية الإنسانية سلوكيا؟

المطلب الأول وهو إجابة السؤال الأول والذي ينص على: ما معاني النفس الإنسانية وأحوالها في القرآن الكريم

اهتم القرآن بموضوعات عديدة وكثيرة في شتّى المجالات ومن هذه الموضوعات التربية وعلم النفس فهو المصدر الأول له والأصل الأول لجل العلوم وليس كما يقول البعض بأن هذه العلوم من

تأليف فلان وفلان بل هو من أعدّ ذلك العلم أو المنهج استنباطاً من القرآن الكريم والسنة النبوية من فعل النبي ﷺ وقوله وتقريراته.

فالقرآن منهج والمنهج كما قال أهل اللغة: طريق وسبيل ومنهاج (منظور، 1414هـ، صفحة 383/2.) قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(المائدة:48) والمنهاج في الآية بمعنى السبيل أي الطريق الواضح.

والناظر في هذا المنهج وذلك من خلال آيات القرآن يجده قد اهتم بالشخصية الإنسانية المتمثلة في النفس البشرية، فبعد أن خلقها الله ألهمها فجورها وتقواها قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾(الشمس:7-8) أي: أن الله الذي خلق هذه النفس وسواها بما وهبها من المشاعر والعقل. قد جعلها بإلهام الفطرة والغريزة مستعدة للفجور الذي يرديها ويدسيها، والتقوى التي تنجيها وتعليها، ومتمكنة من كل منهما بإرادتها، والترجيح بين خواطرها ومطالبها. ومنحها العقل والدين يرجحان الحق والخير على الباطل والشر، فبقدر طهارة النفس وأثر تزكيتها بالإيمان ومكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، يكون ارتقاؤها في الدنيا وفي الآخرة. (رضا، 1990، صفحة 174/11).

ومن اهتمام القرآن بالنفس -أيضاً- عبّر عنها بألفاظ مختلفة منها: الروح في قوله تعالى: ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(البقرة: 44) أي: تتركون، ويقال: خرجت نَفْسه، خرجت رُوحه، والدليل على أن النفس هي الروح قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾(الزمر: 42)؛ يريد الأرواح (الطبري، 1420هـ-2000م، صفحة 299/21).

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ﴾(النساء:1) قال جمهور المفسرين: المراد بالنفس الواحدة آدم عليه السلام (ابن كثير، 1419هـ، صفحة 181/2).

وتأتي معنى الإنسان أي: الشخصية البشرية بكامل هيئتِها، وهي الإنسان بكامل دمه ولحمه وشخصيته، وهذا كثير وغالب في القرآن، فمِن ذلك الآيات التالية: قال الله تعالى مخاطبًا الناس عامة وبني إسرائيل خاصة، بأن يحذروا يوم الحساب ويعملوا صالحًا، وأن الإنسان يأتي ربه في ذلك اليوم فردًا ولا تنفعه شفاعة الشافعين: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ (البقرة: 48)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ (آل عمران: 145).

وأتت بمعنى القوى المفكرة في الإنسان المتمثلة في العقل ومنه قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: 116]؛ قال الطاهر بن عاشور في تفسيره: "والنَّفْس تُطلَق على العقل وعلى ما به الإنسان إنسان، وهي الروح الإنساني، وتطلق على الذات، والمعنى هنا: تعلم ما أعتقده؛ أي: تعلم ما

أعلمه؛ لأن النفس مقرُّ العلوم في المتعارف، وإضـــافة النفس إلى اســـمِ الجلالة هنا بمعنى العلم الذي لم يطَّلع عليه غيره؛ أي: ولا أعلم ما تعلمه؛ أي: مما انفردت بعمله، وقد حسَّـــنه هنا المشـــاكلة (عاشـــور، 1984، صفحة 115/7).

وأتت بمعنى قُوى الخير والشر في الإنسان ولها صفات وخصائص كثيرة؛ منها: القدرة على إدراك الخير والشر، والتمييز بينهما، والاستعداد لهما؛ قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾(الشمس: 7– 8)، وقال سبحانه: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾(البلد: 10)؛ أي: بيَّنا له الطريقين، طريق الخير وطريق الشر، وهناك إلى جانب الاستعدادات الفطرية الكامنة قوةٌ واعية مدركة موجهة في ذات الإنسان، فمن استخدم هذه القوة في الخير وغلَّبها على الشـر، فقد أفلح، ومَن أظلم هذه القوة وجناها وأضـعفها، فقد خاب؛ قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾(الشمس: 7–8).

ثم بيّن أحول النفس بصفات مختلفة منها:

1ـــ النفس المطمئنة قال تعالى ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾(الفجر: 27–30) هي التي اطمأنت إلى خالقها، واطمأنت في بسط الرزق وقبضه وفي المنع والعطاء.

وهي النفس المؤمنة التي استوعبت قدرة الله، وتبلور فيها الإيمان العميق والثقة بالغيب، لا يستفزها خوف, فهي تترقى في سلسلة الأسباب والمسببات إلى الواجب لذاته فتستفز دون معرفته وتستغني به عن غيره، أو إلى الحق بحيث لا يريبها شـك، أو الآمنة التي لا يسـتفزها خوف ولا حزن، لأنها سـكنت إلى الله واطمأنّت بذكره وأَنِسَت بقربه فهي آمنة مطمئنّة، تحسّ بالاستقرار النفسي والصحة النفسية، والشعور الإيجابي بالسعادة، رضيتْ بما أوتيتْ ورضي الله عنها فَحُق لها أن يخاطبها رب العالمين (البيضاوي، 1418هـ، صفحة 311/5).

1– النفس الأمارة بالسوء ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾(يوسف: 53) أي مشتهية له (القرطبي، 1384هـ–1964م، صفحة 210/9) لأنها تأمر صاحبها بفعل كل رذيلة، تسيطر عليها الدوافع الغريزية، وتتمثل فيها الصفات الحيوانية، وتبرز فيها الدوافع الشريرة، فهي توجّه صاحبها بما تهواه من شهوات.

وأخبر سبحانه وتعالى عن تلك النفس أنها أمّارة –بصيغة المبالغة– وليست آمرة لكثرة ما تأمر بالسوء، ولأنّ ميلها للشهوات والمطامع صار عادة فيها إلاّ إنْ رحمها الله عز وجل وهداها رشدها.

2– النفس اللوامة قال تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾(القيامة: 2) اختلف الناس في النفس اللَّوَّامَةِ ما معناه، فقال الحسن هي اللَّوَّامَةِ لصاحبها في ترك الطاعة ونحوه، فهي على هذا ممدوحة،

ولذلك أقسم الله تعالى بها، وقال ابن عباس: هي الفاجرة الجشعة اللَّوَّامَةِ لصاحبها على ما فاته من سعي الدنيا وأعراضها فهي على هذا ذميمة وعلى هذا التأويل يحسن نفي القسم بها والنفس في الآية اسم جنس لنفوس البشر، وقال ابن جبير ما معناه: إن القسم بها هي اسم الجنس لأنها تلوم على الخير وعلى الشر، وقيل المراد نفس آدم لأنها لم تزل اللائمة له على فعله الذي أخرجه من الجنة.

قال القاضي أبو محمد: وكل نفس متوسطة ليست بالمطمئنة ولا بالأمارة بالسوء، فإنها لوامة في الطرفين مرة تلوم على ترك الطاعة، ومرة تلوم على فوت ما تشتهي، فإذا اطمأنت خلصت وصفت (عطية، 1422هـ، صفحة 402/5).

وبعد أن بيّن لنا القرآن الكريم أن النَّفْس هنا وفي مواضع أخرى كثيرةٍ من القرآن، هي الإنسان العاقل المكلف، وهي الإنسان الذي يُتوقَّع منه الخير أو الشر، والهدى أو الضلال، ثم هي الإنسان بجميع مشخصاته جسدًا ورُوحًا، ضبط هذه النفس بضوابط معرفية وضوابط وجدانية وضوابط سلوكية قال تعالى ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا﴾(الأسراء: 37) في بداية الآية نهي على أن يمشي الإنسان مرحا، والمرح معروف بأنه فرح وسعادة وهذا ما يتمناه الإنسان ولكن المقصود به والمراد في هذه الآية كما قال ابن عباس الكبر ياء والعظمة وقال الزجاج: ولا تمش فِي الأرض مختالا فخورا (الواحدي، 1415هـ-1994م، صفحة 108/3) وهذا ضابط للسلوك بضابطٍ معرفي يأتي في نهاية الآية في قوله: ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ ﴾(الأسراء: 37) أي: لن تخرِقَ الأرض بدَوْسك وشدة وطأتك (السعود، صفحة 172/5)، فهذه الآية تدعو العقل للتأمل في نتائج التبختر والتكبر بأنك أيها الإنسان كما قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾ بعظمتك وإنما أنت مخلوق عبد ذليل، والمعنى: أنك لا تقدر أن تثقب الأرض حتى تبلغ آخرها، ولا أن تطول الجبال، فلا تستحق الكبر والبذخ (الواحدي، 1415هـ-1994م، صفحة 108/3). فإذا تدبّر في ذلك تبيّن له أنه أضعف مخلوق.

وفي قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(الحجرات:11) وهذا ضابط سلوكي بنهي الإنسان على السخرية من الناس سواء كانت بالمعاملة أو بالألفاظ التي تستحقر الناس وضابط وجداني بأن يصنف الإنسان الناس عنده في قلبه بأن يحترم الغني ويحبه كونه غني أو يحترم في قلبه صاحب السلطة أو صانع القرار بينما يستهزأ بالفقير كونه فقيرا فقط فمن سخر منه ربما كان عند الله خيراً من الساخر إذ لا اطلاع للناس إلا على الظواهر ولا علم لهم بالسرائر والذي يزن عند الله خلوص الضمائر فربما يجترئ أحد على الاستهزاء

بمن تقتحمه عينه إذ رآه رث الحال أو ذا عاهة في بدنه أو غير لبق في محادثته فيكون أخلص ضـــميراً وأتقى قلباً ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى (النسفي، 1419هـ-1998م، صفحة 354/3).

كذلك نرى الضـــوابط الثلاثة في قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾(الحجرات: 12) ابتدأ سـبحانه وتعالى بضـابط وجداني حيث نهى الْمُؤمن أَن يظنّ بِالْمُؤمنِ سوءا (السيوطي، صفحة 565/7) وهذا الظن قد يكون نتيجة وسوسة أو شيء ما في قلب الإنسان مبنية على طمع أو حقد ثم يأتي بضابط سلوكي وهو النهي عن التجسس مكملا ذلك بالضابط المعرفي ونتيجة ذلك الفعل بقوله أيحب أحدكم أن يأكل لحم اخيه ميتا.

هذه بعض النماذج تدل على أن القرآن اهتم بالشخصية الإنسانية المتمثلة في النفس البشرية وحافظ عليها بمبادئ وضوابط تبيّن لنا أن الأصل للتربية وعلم النفس وغيرهما من العلوم القرآن الكريم الذي لا ريب فيه ولا شك.

المطلب الثاني: وهو إجابة السؤال الثاني والذي ينص على: ما منهج القرآن في الارتقاء بالشخصية الإنسانية على المستوى الفكري.

لقد خاطب القرآن الكريم في كثير من الآيات المختلفة العقل بألفاظ عديدة صريحة تدعو إلى التفكر والتدبر والنظر في الشيء وكذلك استخدم أساليب ضمنية تدعو إلى الشيء نفسه وقد اختصرتُ هذه النماذج في وصايا لقمان لابنه هذا الرجل الحكيم الذي تعتبر وصاياه أصول للتربية وضبط للنفس وبناء للشخصية الإنسانية.

وهنا في وصيته الأولى التي يوصي فيها بأهم شيء في هذه الحياة وهي رسالة جميع الأنبياء ومهمة الإنسان في الأرض وهي توحيد الله تعالى وذلك في قوله: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(لقمان:13) وما يهمنا في هذه الآية تلك النتيجة التي تدعو العقل للتأمل والتدبر والتفكير في أن الشرك ظلم عظيم.

فما هو هذا الظلم؟ وكيف وقع الظلم وهو ليس محسوس وليس مكشوف؟ كل هذه التساؤلات مضمون للآية الكريمة ومقاصد أرادها الله -تعالى- ليرجع بها العقل الإنساني إلى التفكير ويدرك بها تلك التفاصيل لأن الظلم معروف وملموس وأكثره وقوعا على الناس، بمعنى ظلم الناس للناس أما هذا الظلم فليس كذلك، حيث اقترن به الشرك.

فكونه ظلما لأنه وضع للنفس الشريفة المكرمة من الله تعالى في عبادة الخسيس أو لأنه وضع العبادة في غير موضعها وهي غير وجه الله وسبيله، وأما أنه عظيم فلأنه وضع الاعتقاد الصحيح في موضع ليس موضعه، ولا يجوز أن يكون موضعه فأصبح ضد التوحيد وهو الشرك (الرازي، 1420هـ، صفحة 120/25) ولا أفظع وأبشع ممن سَوَّى المخلوق من تراب، بمالك الرقاب، وسوَّى الذي لا يملك من الأمر شيئا، بمن له الأمر كله، وسوَّى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوَّى من لم ينعم بمثقال ذرة من النعم بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم، ودنياهم وأخراهم، وقلوبهم، وأبدانهم، إلا منه، ولا يصرف السوء إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟!

وهل أعظم ظلما ممن خلقه الله لعبادته وتوحيده، فذهب بنفسه الشريفة، فجعلها في أخس المراتب جعلها عابدة لمن لا يساوي شيئا، فظلم نفسه ظلما كبيرا وألقى بها في التهلكة (السعدي، 1420هـ-2000م، صفحة 648).

هكذا البناء الفكري والترقي بمستوى الفكر لإدراك الشيء بقناعة تامة لا يدخلها زيف ولا شك.

وفي الوصية الثانية التي أيضا تدعو العقل للتفكر والتأمل يقول الله تعالى على لسان لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾(لقمان: 16).

في قوله حبة من خردل هذا مثل مضروب لمثقال حبة من خردل. قال قتادة: من خير أو شر.

{فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ} قيل أنها الصخرة التي تحت الأرض السابعة. وقيل أنها صخرة على ظهر الحوت, وقال الثوري: بلغنا أن خضرة السماء من تلك الصخرة, وقال ابن عباس هذه الصخرة ليست في السماء ولا في الأرض. وقيل إن هذه الصخرة هي سجّين التي يكتب فيها أعمال الكفار ولا ترفع إلى السماء.

الثاني: معنى قوله في صخرة أي في جبل, قاله قتادة. {أَوْ فِي السَّمَواتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ} قيل: بجزاء ما وازنها من خير أو شر. وقيل: يعلمها الله فيأتي بها إذا شاء , كذلك قليل العمل من خير أو شر يعلمه الله فيجازي عليه (الماوردي، (د.ت)، صفحة 338/4) فلو وقعت حبة على هذا الوزن الصغير في البحر العميق فإن الله تعالى يعلم موضعها (السمعاني، 1418هـ-1997م، صفحة 232/4). والحس لا يدرك للخردلة ثقلا، إذ لا ترجح ميزانا. أي لو كان للإنسان رزق مثقال حبة خردل في هذه المواضع جاء الله بها حتى يسوقها إلى من هي رزقه (القرطبي، 1384هـ-1964م، صفحة 66/14) وهذه إشارة إلى دقة الحساب وعدالة الميزان ما يبلغه هذا التعبير المصور حبة من خردل، صغيرة ضائعة لا وزن لها ولا قيمة.

و{إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ} باستخراجها. {خَبِيرٌ} بمكانها , روى علي بن رباح اللخمي قال: لما وعظ لقمان ابنه بهذا أخذ حبة من خردلٍ فأتى بها البحر فألقاها في عرضه ثم مكث ما شاء ثم ذكرها وبسط يده فبعث الله ذبابة فاختطفتها وحملتها حتى وضعتها في يده (الماوردي، (د.ت)، صفحة 338/4).

هذا المثال الذي ضربه لقمان لابنه في تلك المواعظ ما أراد إلا أن يرتقي بمستوى ابنه الفكري وأن يبنيه بناء سليما لأنه لو صلح الفكر نتج عنه صلاح الوجدان وإذا صلاح الوجدان نتج عنه سلوك سوي صالح وهذا ما أراد لقمان من ضربه لذلك المثال الذي يدعو للتأمل والنظر والتفكر.

وفي وصيته الأخيرة يأمره بالتواضع في قوله تعالى: ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾(لقمان:19) ويبيّن له حقيقة أن قوة الشخصية وعظمة النفس لا تكون بالمشي تبخترا ولا برفع الصوت على الناس فغض الصوت من حسن الأدب، ودليل على احترام الآخرين، إضافة إلى أنه يدل على ثقة في النفس وفي صدق الكلام الذي يقال؛ فلا يرفع صوته إلا من افتقد الثقة بنفسه، أو شك في قيمة قوله فأراد أن يعوض هذا النقص فيلفت الأنظار إليه برفع الصوت.

كما أن عادة رفع الصوت في الحديث تعد من مثالب الكلام؛ لما فيها من "امتهان للمتحدث، وإزعاج للسامع، ونقص لاستكمال التفكير، وسبيل إلى الخطأ"، ولا يعني ذلك أن المندوب في الكلام خفضه، بل لا بد من الاعتدال والتوسط؛ لأن خفضه أكثر من اللازم قد يفوت حسن الإنصات والاستفادة من الكلام، وربما يكون مؤشرًا إلى ضعف صاحبه. فليس الصوت المرفوع محبذا لأن صوت الحمير مكروه وهو من أرفع الأصوات وأوحشها وهذا مثال عظيم في تلك الصفة المذمومة والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة، وكذلك نهاقه (الزمخشري، 1407، صفحة 498/3).

هكذا كان البناء الفكري والارتقاء بمستوى التفكير في وصاية لقمان وهذه الضوابط الفكرية المعرفية التي تعتبر اللبنة الأولى في بناء الشخصية وأن الناتج من الضابط الفكري ضابط وجداني ينتج عنه قيمه وميول وجداني يرتقي بالشخصية الإنسانية.

المطلب الثالث: وهو إجابة السؤال الثالث والذي ينص على: ما منهج القرآن في الارتقاء بالشخصية الإنسانية على المستوى الوجداني.

بعد أن انتهى لقمان –رحمه الله– من البناء الفكري التي نتج عنه قيمة وجدانية منها بدأ بالبناء الوجداني والارتقاء بالشخصية، فالوجدان مكان الاعتقاد المتمثل في قلب الإنسان فإن صلح القلب صلح سائر عمله وإن فسد القلب فسد سائر عمله لهذا كانت أول وصية وجدانية عقائدية للقمان تدعو لغرس العقيدة الصحيحة قال تعالى على لسان لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(لقمان: 11).

اختار لقمان الحكيم أن يكون النهي عن الشرك هو الوصية الأولى لابنه. و"الشرك" هو تشريك غير الله مع الله في العبادة" (باز، 1412هـ، صفحة 58)؛ فالمشرك يجعل المخلوق في منزلة الخالق؛ يعبده ويتألهه، فهو قد وضع الأشياء في غير مواضعها، وهذا أعظم الظلم، وهو الذي جاء فيه الوعيد الشديد (الرعود، 1411هـ، صفحة 334)؛ قال – صلى الله عليه وسلم –: (الظلم ظلمات يوم القيامة) (البخاري، 1422هـ، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم الحديث(2597) 1996/4).

وفي المقابل بيّن خطورة الشرك في الآية نفسها حينما وصفه بأنه ظلم عظيم مبيّنا خطورته في آيات أخرى وأنه قسمان شرك أصغر والمقصود به الرياء، وهو مناف للإخلاص لله في القول والعمل، وهو ما دعت الشريعة إلى تركه في كثير من الأدلة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾(يوسف: 106).

والشرك الأكبر الذي قال تعالى فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾(النساء: 116) فصاحب الشرك الأكبر لا يغفر الله له بخلاف الشرك الأصغر الذي إن شاء يغفر لصاحبه إن اجتنب الكبائر ولا يغفرها لمن أتى الكبائر (القرطبي، 1384هـ-1964م، صفحة 205/5).

وقال تعال﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾(المائدة: 72) وهذه الآية تبيّن لنا خطورة الشرك بأن المشرك محروم من الجنة يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فإنها دار الموحدين. وَمَأْوَاهُ النَّارُ فإنها المعدة للمشركين (البيضاوي، 1418هـ، صفحة 138/2).

ولن تتحقق العزة والكرامة للمؤمن إلا بعبوديته لله وحده، وهذا ما حرص لقمان أن يغرسه في نفس ابنه لكي لا يظلم نفسه بقوله: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: 13) وهذا هو الظلم الذي يحرم صاحبه من الأمن والهدى، ويقرر هذه الحقيقة قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: 8) هكذا كان لقمان حريصا على بناء تلك الشخصية التي يعظها مبيّنا أن الظلم هو خسارة الإنسان رضا الله الذي ينبغي ألا يطلب سواه وما يتبع ذلك من عقاب لن يفلت منه؛ سواء في ضلاله في حياته في الدنيا أو خسرانه بعد مماته (جمال، 1400 هـ -1980م، صفحة 105).

وهنا في الوصية الثالثة يأمره بإقامة أفضل الأعمال والركن الثاني بعد التوحيد وهو إقامة الصلاة التي تضبط سلوك الإنسان وتغيره كونها تنهى عن الفحشاء والمنكر وفي المقابل لها أثر وجداني كبير قال تعالى على لسان لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾(لقمان: 18)

نادى لقمان ابنه مرتين: "يا بني" وهو يتابع معه خطوات العقيدة بعد استقرارها في الضمير، ويهتف بها مرة أخرى يدعوه إلى إقامة الصلاة التي هي أهم تكاليف العقيدة.

نهاه عن الشرك المتضمن التوحيد، والذي هو أول ما يجب على المكلف، فكمله من حيث الاعتقاد، ثم رغب في تكميله من حيث العمل فأمره بالصلاة التي هي أكمل العبادات ولكونها تنهى عن الفحشاء والمنكر وهي من صفات المؤمنين قال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾(المؤمنون:1-2).

فالصلاة صلة بين الفرد وخالقه، وهي مصدر تربوي ثري، فيها يقول، جل جلاله، في الحديث القدسي: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل». قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اقرءوا يقول العبد: {الحمد لله رب العالمين} [الفاتحة: 2] يقول الله عز وجل: حمدني عبدي. يقول العبد: {الرحمن الرحيم} [الفاتحة: 1] يقول الله عز وجل: أثنى علي عبدي. يقول العبد: {مالك يوم الدين} يقول الله عز وجل: مجدني عبدي. يقول العبد: {إياك نعبد وإياك نستعين} [الفاتحة: 5] فهذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. يقول العبد: {اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين} [الفاتحة: 7] فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل" (النسائي، 1406هـ - 1986م، كتاب الافتتاح، باب البداءة بفاتحة الكتاب قبل السورة، رقم الحديث(909) 135/2).

فالمتأمل في هذا الحديث يجد أن الصلاة مرتكزها الإيمان بربوبية الله؛ حين يعترف المسلم بحقيقة الله سبحانه وتعالى، شهادة فضل وثناء وتمجيد، ولا يقف عند حد الاعتراف بهذه الحقيقة العظمى، بل يتعدى إلى مرحلة التطبيق؛ وهو ما تجمله "إياك نعبد" (الجنباز، 1420 هـ -1999م، صفحة 199)

وللصلاة آثار تربوية عظيمة على الفرد والمجتمع، لا يمكن حصرها؛ ففيها يتحقق التوازن بين الجانبين المادي والروحي، ففي سجودنا لله نستشعر بملامسة الأرض تربتنا التي تمثل كامل الخضوع لله، واعترافًا بعظمته؛ نخفت بـ "سبحانه" فهو "الأعلى" وفيها عزتنا وكرامتنا حيث لا خضوع لغيره، والصلاة إذا أقامها المسلم كما شرعها الله فإنه: "ينصرف تمام الانصراف عن جميع مشاغل الدنيا ومشاكلها، وهذا الانصراف من شأنه أن يبعث في الفرد حالة من الاسترخاء الكامل، وهدوء للنفس وراحة للعقل.

وإذا أقام الفرد صلاته خاشعًا، وصدق تعلقه بالله، طهرت نفسه وسمت أخلاقه؛ فكانت صلاته حصنه الحصين من الانحراف والفساد "ولو لم يكن للصلاة من مغزى وهدف سوى أنها تحيي ضمير الإنسان فتنهاه عن ارتكاب الفواحش والمنكرات التي تؤدي إلى اعتداء على الحرمات، وهتك للأعراض، وقطع للأوصال، وفسخ للقيم، أقول: لو لم يكن للصلاة سوى وضع الفرد في تنسيق واتزان مع طبيعته الإنسانية

وقيمه الأخلاقية لكفاها" (المرصفي، 1407 هـ – 1987م، صفحة 133) قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت: 45).

والصلاة تربي الإنسان على النظام والارتباط بالجماعة، فضلاً عن تحقيقها لوحدة الشعور والترابط والالتحام بين أفراد المجتمع؛ حيث يقفون خلف قيادة واحدة، متوجهين وجهة واحدة، يعبدون إلهًا واحدًا.

وبالصلاة تقوى النفس وتتغلب على جوانب الضعف الإنساني، قال تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا(19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23) } [المعارج.

ونستشعر عظمة الصلاة من كونها عمود الدين, ولذلك ولبالغ تأثيرها على حياة البشر كانت أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة، فإن صلحت أفلح، وإن فسدت خاب وخسر.

هكذا ركز لقمان على الجانب الوجداني وهو من أهم الجوانب كونه جانب العاطفة والميول وحب الشيء أو بغضه وأهمية الصلاة في هذه الجانب ومقاصدها التي تجعل من الشخصية قيمة.

المطلب الرابع: وهو إجابة السؤال الرابع والذي ينص على: ما منهج القرآن في الارتقاء بالشخصية الإنسانية على المستوى السلوكي

إن في هذه الوصايا عقائد وعبادات لها السبق في تعديل متغيّر السلوك ولنبدأ في المطلب إلى ما توقفنا عليه في المطلب السابق وهي الوصية الثالثة قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾(لقمان: 18) هذه العبادة العظيمة التي لها أثرها في تهذيب سلوك الإنسان، وإصلاح القلوب، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام وعموده الذي لا يقوم إلا به فقد ثبت عن النبي ﷺ قال: "رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله" (البيهقي، 1423 هـ – 2003 م، صفحة رقم الحديث(2549) 299/4).

والمتمعن للعبادات التي فرضها الله سبحانه وتعالى – على الناس – عموما، والصلاة خصوصا يدرك أثرها التربوي في إشراقة النفوس، وطمأنينة القلوب، وإصلاح الفرد والجماعة، ومن هذه الآثار التربوية ما يلي:

1 – إقامة الصلاة دليل على صدق الإيمان، وعلى تقوى الله، وعلى ما يتمتع به صاحبها من بره بعهده وقيامه على الحق وإخلاصه لله، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (المؤمنون: 34).

2 – الصَّلَاة مَنْهَج متناسق لتربية الفرد والمجتمع يصل بهما إِلَى قمة السمو الأخلاقي، قَالَ تَعَالَى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾(العنكبوت:56).

3 – الصَّـلَاة تمد الْمُؤمن بِقُوَّة روحية تعينه على مُوَاجهَة المشـقات والمكاره فِي الْحَيَاة الدُّنْيَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(البقرة: 154)

4–تربي لسان المصلي على قول الخير والتأدب مع الناس، لأن الصلاة كما جاء في الآية الكريمة تكون مقترنة بالقول الحسن: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾(البقرة:)83.

5– تربي الانسـان المسـلم على فعل الخير وتحقيق الفضـائل، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَةِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾(الأنبياء:)73.

6– تربي الرغبة في التوبة والإقبال على الصلاح والاستقامة، قال تعالى: ﴿وَأَقِمْ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾(العنكبوت:45).

هذه حقيقة الصلاة في ضبط السلوك وتغييره ومن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصـلاته، من الله إلا بعدا ومن لم تنهه صـلاته عن الفحشـاء والمنكر فصـلاته وبال عليه (البغوي، 1420هـ، صفحة 558/3).

ثم نأتي للوصـية الرابعة التي هي أمر وضـابط سـلوكي ووجداني في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾(العنكبوت: 45)

إن التربية الإسلامية عملية ممتدة تنتظم في سلسلة لا نهاية لها؛ فبعد أن حرص لقمان أن يربي ابنه على توحيد الله وتحقيق العبودية له وحده، ومراقبته جل جلاله، وأمره بإقامة الصـلاة التي فيها طهارة نفسـه وتزكيتها ﴿وَأَقِمِ الصَّـلَاةَ إِنَّ الصَّـلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَـاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾(العنكبوت: 45) أراد له أن يتولى دورًا إيجابيًا في مجتمعه؛ فبعد أن ينتهي هو أولاً عن المنكر ويأتمر بالمعروف يتهيأ لإصـلاح الناس بعد صلاح نفسه.

ولقد فهم السابقون من السلف أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرورة تقتضيها الحياة في المجتمع المدني، ولأن من تهيأ لهذه المهمة إنما هو من حملة رسـالة النبيين في الإصـلاح والتغيير والتوجيه والنصيحة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: "وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم، لا في الدنيا، ولا في الآخرة، إلا بالاجتماع والتعاون والتناصـر؛ فالتعاون والتناصـر على جلب منافعهم، والتناصـر لدفع مضـارهم، ولهذا يقال: "الإنسـان مدني بالطبع" فإذا اجتمعوا فلا بد لهم من أمور يفعلونها يجتلبون المصلحة، وأمور يجتنبوها لما فيها من المفسدة، ويكونون مطيعين للآمر بتلك المقاصد والناهي عن تلك المفاسد. فجميع بني آدم لا بد لهم من طاعة آمرٍ وناهٍ" (ابن تيمية، د.ت، صفحة 7).

ولقد عد القرطبي (القرطبي، 1384هـ–1964م، صفحة 68/14) الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أعظم الطاعات" والأمر بالمعروف هو كل ما أمرت به الشريعة، والمنكر هو كل ما حرمته.

يؤكد ذلك شـــيخ الإســـلام، رحمه الله، حين قال: "وإذا كان جماع الدين، وجميع الولايات، هو أمر ونهي فالأمر الذي بعث الله به رســـوله هو الأمر بالمعروف، والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر، وهذا نعت للنبي وللمؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُـــهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾التوبة:71) وهذا واجب على كل مســـلم قادر (ابن تيمية ت.، 1416هـــــ-1995م، صـــفحة 65/28)

ولأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول النبي ﷺ «من رأى منكم منكرا، فاستطاع أن يغيره بيده، فليغيره بيده، فإن لم يستطع، فبلسانه، فإن لم يستطع، فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» (ابن ماجة، (د.ت) كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم الحديث(4013) 1330/2).

هنا أمر النبي ﷺ عليه الســـلام بتغيير المنكر والتغيير يكون باليد وهذا ســـلوك لتغيير منكر ســـواء كان المنكر ســـلوكا أو غير ذلك فهذا الحديث قاعدة من قواعد الدين، وظاهره: أن الإنســـان يلزمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسَبَ الاستطاعة.

ولخطورة التهاون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾(المائدة: 78-79) وقد عبّر القرآن باللعن وهو أشـــد ما يعبر الله تعالى به عن مقته وغضبه ; فالملعون هو المحروم من لطفه وعنايته، البعيد عن هبوط رأفته ورحمته (رضا، 1990، صفحة 406/6).

لذلك كانت وصية لقمان الحكيم بالأمر بالمعروف وجعلها ضابطا ومتغيراً للسلوك يقوّم به الشخص نفسه ويقوّم غيره.

نأتي للوصية السادسة والسابعة قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾(لقمان: 18) لما وجه لقمان ابنه إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، خاف عليه من أمرين: أن يتكبر على من يدعوهم باعتباره مكملاً لهم، وأن يدخل العجب نفســه لأنه كامل في نفســه فقال: {وَلَا تُصَــعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ} أي: لا تمله وتعبس بوجهك للناس تكبرًا عليهم، وتعاظمًا، والصـــعر داء يصـــيب أعناق الإبل، والأسلوب القرآني يعبر بهذه الألفاظ تنفيرًا من مشابهتها. وقيل: " لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك احتقارا منك لهم، واستكبارا (ابن كثير، 1419هـ، صفحة 302/2)

ولما أمره بأن يكون كاملا في نفســه مكملا لغيره وكان يخشــى عليه من التكبر على الغير بســبب كونه مكملا له والثاني: التبختر في النفس بسبب كونه كاملا في نفسه فقال: ولا تصعر خدك للناس تكبرا ولا

تمش في الأرض مرحا تبخترا إن الله لا يحب كل مختال يعني من يكون به خيلاء وهو الذي يرى الناس عظمة نفسه وهو التكبر فخور يعني من يكون مفتخرا بنفسه وهو الذي يرى عظمة لنفسه في عينه، وفي الآية لطيفة وهو أن الله تعالى قدم الكمال على التكميل حيث قال أقم الصلاة ثم قال: وأمر بالمعروف وفي النهي قدم ما يورثه التكميل على ما يورثه الكمال حيث قال: ولا تصعر خدك ثم قال: ولا تمش في الأرض مرحا لأن في طرف الإثبات من لا يكون كاملا لا يمكن أن يصير مكملا فقدم الكمال، لما قال: ولا تمش في الأرض مرحا وعدم ذلك قد يكون بضده وهو الذي يخالف غاية الاختلاف، وهو مشي المتماوت الذي يرى من نفسه الضعف تزهدا فقال: واقصد في مشيك أي كن وسطا بين الطرفين المذمومين (الرازي، 1420هـ، صفحة 122/25)

هكذا كانت وصايا لقمان نهجا ومنهجا في التربية وبناء الشخصية وضبط النفس الإنسانية فقد جمعت بين العقائد والعبادات والتربية والدعوة وهذا هو منهج القرآن الذي هو الأصل الأول لجل العلوم الذي ابتدأ بالتدرج في بناء الشخصية بجوانبها الثلاثة الفكري والوجداني والسلوكي ثم بناء الأفراد والمجتمعات بالترابط والتواصل ثم بناء الأمم والشعوب بديانة وعبادة واحدة، وبذلك تمت الإجابة على سؤال البحث الرئيس والذي نص على ما صور اهتمام القرآن الكريم بالشخصية الإنسانية من خلال وصايا لقمان الحكيم.

استنتاجات البحث: هنا تحط بي الرحال على المرحلة الأخيرة من البحث التي تناولت فيه بناء الشخصية الإنسانية والترقي بها على المستوى الجانب المعرفي والجانب الوجداني والجانب السلوكي وقد توصلت إلى عدة استنتاجات منها:

1-أن القرآن الكريم من أصول التربية وعلم النفس وليس كما يدعى البعض أن هناك من ألف واخترع هذه العلوم فالقرآن الكريم اهتم بنشأة النفس منذ الخلقة ومراحلها في علم الغيب إلى حين تغادر هذه الدنيا.

2-أن القرآن انتهج منهج التدرج في الترقي بالشخصية وذلك بالبناء الفكري عن طريق الخطاب الذي يتعلق بالعقل ويدعوه إلى النظر والتأمل والتفكر كما في وصايا لقمان وهي نتائج للسلوك مثل وصف الشرك بأنه ظلم ورفع الصوت ليس محبذًا فأنكر الأصوات صوت الحمير.

3-المرحلة الثانية في بناء الشخصية الإنسانية هي مرحلة الوجدان الناتجة عن البناء المعرفي بعد إدراك المفهوم واستيعاب العقل وقناعته يصبح ذلك المفهوم قيمة وجدانية يميل إليه الإنسان فبعد أن يدرك أن الشرك ظلم يجتنبه ويبغضه ويصبح التوحيد عنده قيمة لا يمكن التنازل عنها، بعد ذلك تأتي المرحلة الأخيرة في بناء الشخصية الإنسانية هي مرحلة السلوك الناتجة عن البناء الوجداني والفكري المعرفي

فعندما مثّل الله من يرفع صوته بالحمار استوعب العقل ذلك فأصبح غض الصوت قيمة وجدانية نتج عنها تغير السلوك وهو رفع الصوت بغضه.

4-أن وصايا لقمان جمعت بين الإيمان والفكر والمعتقد وبين السلوك، ثم بين العمل الصادر من هذا الإيمان وبين الجزاء؛ وما ذلك إلا لأن "الإيمان بالله هو الموجه للسلوك والضابط له، والمتصل اتصالاً وثيقًا بالأعمال الصادرة من الإنسان.

5-أن وصايا لقمان اعتمدت على عدة أصول أصلها الأول عقائدي وذلك بالتحذير من الشرك وبغضه وذمه والدعوة إلى توحيد الله تعالى والأصل الثاني مراقبة الله عز وجل وذلك عندما ضرب له مثال حبة الخردل مبينًا له أنه صاحب السلطان والقدرة ومالك الأمر كله فعندما تترسخ العقيدة السابقة في النفس، فإن الطمأنينة تشيع فيها كما أن حياة الناس تتسم بالرضا والتسليم، والأصل الثالث العبادات التي لها دور كبير في الرقي بالنفس كالصلاة لأنها غاية الوجود الإنساني والأصل الرابع الآداب الاجتماعية المتمثلة في بر الوالدين والتواضع وعدم التكبر وآداب المشي وآداب الحديث وهي مرتبطة بالعقيدة الإسلامية ارتباطا وثيقا، ذلك أن العقيدة هي التي تحفز الإنسان نحو السلوك الطيب، وأن انتفاء العقيدة عنده سيقود إلى كل الاحتمالات السلبية والتفكك والانحراف.

مصادر ومراجع البحث:

- ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله. (1412هـ). بيان معنى كلمة لا إله إلا الله (مج1). الرياض: دار الشريف.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد. (د.ت). الحسبة في الإسلام، أو وظيفة الحكومة الإسلامية (مج 1). بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. (1416هـ-1995م). مجموع الفتاوى (د.ط). المدينة النبوية: جمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- ابن عاشور محمد الطاهر. (1984). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر.
- ابن عطية، محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام. (1422هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (مج 1). بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (1419هـ). تفسير القرآن العظيم (مج 1). بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين. (1414هـ). لسان العرب (مج 3). بيروت: دار صادر.
- أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى. (د.ت). تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء. (1420هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي (مج1). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (1418هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل: دار إحياء التراث العربي.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر. (1423 هـ - 2003 م). شعب الإيمان (مج1). الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع.
- جمال، أحمد محمد. (1400 هـ -1980م). على مائدة القرآن: دين ودولة (مج 3). جدة: دار الشروق.
- الجنباز، محمد. (1420 هـ -1999م). ذلك وصاكم به: الوصايا العشر (د.ط). الرياض: دار عالم الكتب.
- الرازي، بفخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي. (1420هـ). مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (مج 3). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- رضا، محمد رشيد بن على. (1990). تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الرعود، محمد عبد الرزاق. (1411هـ). ابن رجب الحنبلي جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم (د.ت). الجزائر: دار الفرقان.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. (1407). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (مج3). بيروت: دار الكتاب العربي.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. (1420هـ-2000م). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مج 1). بيروت: مؤسسة الرسالة.
- السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزى. (1418هـ-1997م). تفسير القرآن للسمعاني (مج 1). الرياض: دار الوطن.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. (بلا تاريخ). الدر المنثور. بيروت: دار الفكر.
- الطبري محمد بن جرير. (1420هـ-2000م). جامع البيان في تأويل القرآن (مج 1). بيروت: مؤسسة الرسالة.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين ا. (1384هـ-1964م). الجامع لأحكام القرآن (مج 2). القاهر: دار الكتب المصرية.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي. ((د.ت)). تفسير الماوردي = النكت والعيون (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.
- المرصفي، محمد علي محمد. (1407 هـ - 1987م). في التربية الإسلامية: بحوث ودراسات القاهرة (مج1). القاهرة: مكتبة وهبة.
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (1406هـ -1986م). المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي (مج 2). حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.
- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين. (1419هـ-1998م). مدارك التنزيل وحقائق التأويل (مج1). بيروت: دار الكلم الطيب.

- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي. (1415هـ-1994م). الوسيط في تفسير القرآن المجيد (مج 1). بيروت: دار الكتب العلمية.

The approach of the Holy Quran in developing human personality((Luqman's advices as a model)

Abd Elmawla Mansour Zidane

Department Of Arabic Language And Islamic Studies, Facuity Of Arts, Asmarya Islamic University, Libya

abdalmola.zidan@gmail.com

Abstract

The aim of the research is to demonstrate the educational method of the Holy Quran in the advancement of the human personality through the commandments of Luqman the wise and used to achieve that inductive method through reading and tracking the Quranic texts, as well as the deductive method through explanation and analysis, and one of its most important results is that the origins of education and psychology are which results in behavior change or the so-called behavioral construction through the commandments of Luqman Al-Hakim, which collected the doctrinal assets It combines faith and thought with behavior and belief..

Key words: the method of the Holy Quran.Promotion, The human psyche, The commandments of Luqman